- ٢ -

المؤَامرةُ الكُبْرَى

ويخبر هذا الطفل ببراءة قلبه وطهره إخوانه بالرؤيا، فيبدأ الغيظ في قلوبهم، والحسد في نفوسهم -عليهم السلام- هذا عند القول: إنهم أنبياء، وبعض أهل العلم قالوا: إنهم لم يكونوا أنبياء، فهذا الذي فعلوه قبل النبوة، بدأت المؤامرة عندما رأوا إقبال أبيهم على يوسف، يأتي بهذا الابن الذي يحتضنه، الذي هو أجملهم وأذكاهم وأفصحهم وأنبههم، فرأى هؤلاء وهم عصبة يعني عشرة أبناء ويوسف وأخوه اثنان، رأوا هذا الأب وهو يتساهى ويغفل عنهم إلا يوسف، يذهب به إلى مصلاه فيحتضن يوسف، ويأخذ الطفل معه للمصلى، ويسأل عنه، وهذه تجتمع وتتضخم عندهم، فرؤوا أن: يدبروا له المكيدة، وبدؤوا يدبرون خيوط المؤامرة ضد هذا الابن البار، ولكن من يحفظ الطفل، إنه الواحد الأحد، مهما اجتمع العالم عليك، ومهما دبروا، ومهما نسجوا من الخيوط إذا كان الله معك فلا تخف، يقول ﷺ لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تَعَرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة** – ثم قال في آخر الحديث –: **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك في شيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه**

الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، فأنت إذا كنت مع اللّه - كما قال بعضهم - كان اللّه معك، فهذا الطفل الله هو الذي يتولى رعايته، إذ ليست له حراسة، وليس معه أب، ولا أخوة يشدون من عضده، سوف يبقى معهم، لكن عين اللّه تراقبهم وتحرسه، وتحفظه ليكون نبيّاً وملكًا.

ويؤدي رسالة اللّه ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ**﴾ يقول: قصة يوسف وإخوانه آيات وعلامات واضحة لمن سأل عنها، قالوا: للسائلين لكل الناس، وقال بعضهم: لأن من سأل عنها يريد أعجوبة هذه القصة، فيقول سبحانه: هذه هي الآيات وهذه هي الأدلة، وهذه هي البراهين، وإنها قصة عجيبة من أعظم القصص على الإطلاق، والعجيب أن بني إسرائيل في المدينة المنورة -قاتلهم اللّه ولعنهم- أرسلوا إلى كفار قريش؛ لأن كفار قريش لم يكن عندهم كتب، ولا يعرفون قصة يوسف، ولا قصة موسى ولا عيسى، كان أولئك يؤذونهم بالأسئلة؛ لأن كفار قريش لم يكن عندهم كتب فكانوا يتحدون محمداً فإذا كان نبيًا تحدوه بقصص، فيقولون: اسألوه عن قصة يوسف، وكفار قريش لا يعرفون سوى رحلة الشتاء والصيف، رعاء الإبل والبقر والغنم وبيع الزبيب والتمر، قالوا: اسألوه عن غلام ضاع عن أبيه في فلسطين ودخل في مصر وتَمَلَّكَ فيما بعد، فإن كان نبيًا أخبركم. فذهب أبو جهل وأبو لهب إلى الرسول ﷺ قالوا: يا محمد، غلام كان في فلسطين كان طفلاً، وهم لا يعلمون ما القصة، وضاع من أبيه وكان أبوه نبيًا، وذهب إلى

مصر فوجده أبوه، ثم أصبح الابن ملكًا ونبيًا ما قصته؟ قال: غدًا أخبركم إن شاء الله.

فالرسول ﷺ لم يراجع المكتبة العامة، ولا مؤلَّفاً، ولم يتصل بلجنة دائمة، لكنه يتصل بالواحد الأحد، هذا نبي أمي جاء لتحرير الدنيا، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإعلان أنه لا إله إلا الله والواحد الأحد، هذا النبي، لا يكتب حرفاً، ولم يدخل كلية ولا جامعة، إنه يتلقى العلم من عند الواحد الأحد، قال: غدًا أخبركم؛ لأنه سوف يتصل يسأل الواحد الأحد، ربي علِّمني بهذا السؤال حتى لا يكذب عليه الصلاة والسلام، وفي اليوم الثاني نزل عليه جبريل بسورة يوسف كاملة، وهي من قلائل السور التي نزلت كاملة، بعض السور تنزل على عشر دفعات إلا هذه السورة من (الم) إلى آخرها مرة واحدة بقوة وإشراق وبلاغة وإعجاز، لم يختل حرفًا منها، ولم تتخلف فيها كلمة، وليس بها جملة خطأ، فيقرأ عليهم في اليوم الثاني فينقلونها لليهود، فيقولون: وأقسموا بأيمانهم والله ما زاد كلمة ولا نقص كلمة، لكنهم لم يسلموا، لماذا؟ أصابهم داء إخوان يوسف حسدًا من عند أنفسهم، يقول سبحانه عن اليهود: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا** ﴾ أنتم يا إخوان القردة والخنازير كنتم تقرؤون في الكتب أن محمدًا سوف يبعث من العرب، وسوف يكون نبيًا، قال: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** ﴾ ما الجواب ﴿ **فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ لعن الله من يخفي الحقائق، لعن الله من يزور في الأدلة، لعن الله من يكذب البراهين الساطعة، فأخبرهم الرسول بذلك.

فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ تبدأ مؤامرة إخوان يوسف على يوسف، اجتمعوا في مجلس والشيطان يؤزهم، ويعقوب وابنه يوسف غائبون عن هذا المجلس، قال كبيرهم من هؤلاء العشرة: يوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا، أسلوب القرآن ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ﴾ (واللّه) هنا لام تأكيد تحتمل القسم، واللّه إن يوسف وأخاه أحب إلى أبينا منا، ونحن عصبة، والعشرة أكثر من اثنين، ثم إننا ولد رجل واحد، كيف يحب أخانا يوسف أكثر منا؟! كيف يقبل عليه ويتركنا؟! لماذا هذا الهجر؟ قالوا: ويقولون ما حسد الناس أحدًا كما حسدوه عن الحب، والحب هبة من الواحد الأحد، وفي الصحيح: إذا أحب اللّه عبدًا نادى جبريل إني أحب فلانًا يسميه باسمه اللّه -عز وجل- يقول: يا جبريل أحب فلانًا ابن فلان في مدينة فلان في حي فلان فيحبه جبريل لحب الواحد الأحد، ثم ينادي في أهل السماء إن اللّه يحب فلانًا ابن فلان ليس لنسبه ولا حسبه ولا ماله، وإنما لتقواه وصدقه وصلاحه واتصاله بربه، ثم يوضع له القبول في الأرض .

فيعقوب عليه السلام أحب يوسف باعتراف الأبناء العشرة ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾ ماذا يفعلون؟ قالوا: نحن عصبة؟ هنا احتمالان اثنان للاعتراض.

الأول: لماذا يحب يوسف وأخاه ونحن أبناء رجل واحد.

الاحتمال الثاني: لماذا يغلِّب القليل على الكثير، ونحن عصبة والعصبة قيل من الواحد إلى العشرة، فنحن أكثر وأنفع، كيف تحب اثنين وتترك عشرة، فالإشكال في هذه المحبة أننا عصبة ولم ننعم بالحب الشديد مثل يوسف، ﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾، هل يعقوب -عليه السلام- ضال؟ وهو نبي، من هو الضال المبين، قال أهل العلم: هذا خطأ في التدبير فقط، لا في الدين؛ لأنه نبي، فقصدهم أن تدبيره -عليه السلام- لم يكن صائبًا ورأيه كان خطأ، كيف يقدم الكثير على القليل؟! كيف يقدم الرجل بعض أبنائه على بعض.

إذًا هناك خطأٌ في التدبير، هذا مقصدهم غفر الله لهم، كان الحسن البصري يبكي إذا قرأ سورة يوسف ويقول: لا إله إلا الله، كم ارتكبوا من العقوق، عقوا أباهم وأبكوه وأحزنوه، وأخذوا أخاهم أسيرًا ووضعوه في الجب، ثم كذبوا على أبيهم، وغير ذلك إلى أن سألوا أباهم أن يستغفر لهم من أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين هو الواحد الأحد.

قالوا: ﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ قال أحدهم: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ**﴾، كيف يبلغ الحسد في الإنسان إلى أن يتمنى قتل محسوده، كل الناس ترضيهم إلا الحاسد، لا يرضى الحاسد إلا بزوال نعمتك، لذلك أُمِرْنا أن نتعوذ من شر حاسدٍ إذا حسد، فنعوذ بالله من الحاسد الحاقد. وجعلوا في المشورة خيارين، الأول: قالوا: اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا، لا بد أن يعدم يوسف وينتهي من بيتهم، والخيار الثاني: اطرحوه أرضًا اذهبوا به إلى أرضٍ بعيده، طفل

عمره اثنتا عشرة سنة إذا ذهب مسافة فراسخ بالأقدام لن يهتدي إلى البيت، أبهذه الطريقة يفرغ لكم وجه يعقوب؟ تذبحون ابنه وتعقونه، وتعيِّشونه في الهم والحزن إلى درجة أنه كان يبكي ويعض على شفتيه، ويريد أن يصمد، ولكن يغلبه البكاء، ثم قول: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾.

قال أهل: العلم لا يوجد أشد حباً من الرجل إذا تعلق بابنه، فهو يصبح كالطفل إذا تعلق بأمه أو أشد، قالوا: ﴿**يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ**﴾، وهذا خطأ في التدبير، كيف يصلح وجه يعقوب -عليه السلام- بعد هذا الفعل الشنيع؟!

قال: ﴿**وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ يقولون: إذا انتهينا من يوسف وأخيه، فالأمر سهل علينا سوف نطيع ربنا، ونستغفره إن الله غفور رحيم، وسوف نعود لأبينا بعذر مقبول بأن الذئب قد أكله، كل المسألة تختصر في مأساة وعقوق وتدبير، قتل ومعصية ﴿**وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ قال أهل العلم: وهذا أملهم بالله، ودليل على أنهم مازالوا قريبين منه سبحانه، وأن صاحب الدين مهما بلغ من ذنبه إذا كان مسلمًا فإنه يحسن الظن بربه جل في علاه، فكبيرهم الذي تكلم بهذه الكلمة، وألقى عليهم هذا الخيار، ورد عليه الآخر: ﴿**أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا**﴾ لا يعتني بالأسماء، بعضهم يقول: الذي قال هذا بنيامين، وبعضهم يقول: يهوذا أو نحو ذلك، المقصود أن أحدهم قال هذا القول وهو الذي ينفعنا، وهو فيه الفطنة والعبرة لنا، ﴿**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ**﴾ القتل صعب،

ولو قتلناه فالدم لا يضيع أبدًا مهما حاول الإنسان، وسوف يأتي الله بهذا الدم يومًا ما، سوف تبقى في مكان الجريمة أدلة وبراهين، وسوف يكتشف يعقوب -عليه السلام- ولو طال الزمن أن ابنه مقتول، ثم إن القتل صعب، وهو أخونا، فهو أرحم من الباقين، فاختار تخفيف عقوبة الإعدام إلى عقوبة التشريد والطرد والاخراج من الوطن.

قال: ﴿**لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ**﴾، في جب يعني بئر محفورة وليس لها جدار، سبحان الله ما أقسى قلب الحاسد! يأتون بأخيهم ويضعونه في بئر في ظلام الليل وبين الذئاب والوحوش، وبعيد لا أهل ولا أنيس، ولا صاحب ولا طعام ولا ماء، ومن التخطيط ألا يكون للبئر جدارٌ حتى لا يصعد منها، تكون بئراً مطوية، جوانبها من التراب، فلمَّا كُمُلت الخطة، وذهبوا به، أنزلوه فيها، فلما نزل قطعوا الحبل، لكن هناك حبل لا ينقطع، هو حبل الواحد الأحد، فهم قطعوا حبلاً من حبال البشر، لكن حبل الواحد الحي القيوم لا ينقطع، لقد كان الطفل يناجي ربه في البئر يوم ألقوه، اتصل مباشرة بالحي القيوم، قال: ﴿**وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ**﴾ يعني المكان الذي يغيِّب عن العيون، وهو الحفرة، والجب هي البئر التي لم تطوَ بحجر إنما هي محفورة فقط، وبها ماء قليل، ثم قالوا: إذا مر هناك بعض السيارة فسوف يلتقطونه؛ لأنه لا يلتقط إلا الطفل، فلو كان شابًا دافع عن نفسه ولم يسمَ لقيطًا، وكل ذلك وهو لا يدري ما سيحدث له، وليس له سلاح، ولا يدري أبوه بهذه المكيدة، قال: ﴿**يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ**﴾، قالوا: عسى أن تأتي قافلة ويأخذوه من البئر ويريحونا من هذا الذي سلب عقولنا وهو طفل بريء، ولم يسئ لهم.

﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما دام أنكم أصررتم على التخلص منه، العشرة صمموا على التخلص منه، ليس فيهم أحد قال: نرحمه، أو نتركه، لكن اختلفوا في الطريقة، وهناك من خفف عنه عقوبة الإعدام، فرأى أن هذا الطفل البريء لابد أن يُشَرَّد ويطرد ويبعد عن أبيه، مادام أننا اجتمعنا على هذا القول الخاطئ، وهم يعتقدون أنه صوابًا، وفي النهاية أجمعوا أمرهم على أن يجعلوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ انفض مجلس المؤامرة على إخراج يوسف وإبعاده عن فلسطين إلى أبعد نقطة يمكن أن يمر بها المسافرون، حتى يذهب هذا الطفل إلى آخر الدنيا ولا يجده أبوه أبدًا، الآن سيذهبون بالطهر والسكينة إلى يعقوب ليعطيهم الطفل البريء؛ لأن يعقوب متمسك بالطفل في المصلى في النوم في اليقظة، حتى قال أهل العلم: إذا دعا بطعام، قال: أريد طعامي وطعام يوسف، وشرابي وشراب يوسف، ويحتضنه ويقول: إني أجد فيه ريح الجنة، المهم أنهم أتوا أمامه وقالوا: ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾، أنت دائمًا تشك فينا، هل سبق لنا أن أسأنا إلى يوسف؟ لماذا لا تتركه معنا؟ فهو لا يجلس معنا، ولا ينام معنا، ولا يأكل معنا، يا أبانا نحن إخوانه تعرف صدقنا وأمانتنا، لماذا لا تترك أخانا يلعب معنا ويرى جمال الطبيعة.

قالوا: ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾؛ ينكرون عليه وهذا خطأ منهم، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾، نحن نحبه، ناصحون له في اللعب والحضور والغياب، فلماذا تخاف منا؟! انظر إلى اختيار الكلمات

والعناية فيه، يا أبانا مثلك لا يشك فينا على أخينا، يا أبانا اتق الله، نحن أبناء رجل واحد، وبدؤوا يطلبون الطلب، أرسله معنا غدًا فقط، يتمشى معنا ويرتع ويلعب، وقالوا: اجعله في حفظنا يرتع ويلعب؛ لأن الطفل من حقه أن يلعب، حتى في الإسلام آداب للعب الأطفال، قال سفيان الثوري لابنه: «لاعبه سبعًا، وأدبه سبعًا، وصاحبه سبعًا ثم اتركه للتجارب». ويقول ﷺ: «**أدبوا أبناءكم، مروا أولادكم بالصلاة لسبع، وأضربوهم عليها لعشر**».

وخروج يوسف مع إخوانه، لن يكون مستنكرًا عند يعقوب، ولو كان مستنكَرًا لمنعه من الخروج واللعب معهم، إنما خاف عليه قالوا: ﴿**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾، يرى ويلعب ونحفظه بإذن الله ﴿**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾، لا تخف اتكل على الله، قال: جاءت كلمة الحفظ؛ لأنها تشمل النصح في عدم الغش، وهنا الحفظ في الذهاب والإياب، فالنصح بالنية والحفظ بالعمل، قال: ﴿**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾، ثم يرد -عليه السلام-: ﴿**إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ**﴾، سوف يزيد الحسد حسدًا؛ لقد ازداد تعلقه به، وهم يزيدون حسدًا فأنا لا أصبر إذا فارقني، أحزن ويأتيني من الهم. جاء في بعض التفاسير: «أن يعقوب رأى في المنام أنه على جبل، وابنه في سهل وعشرة ذئاب، ويوسف يبكي ويستغيث بأبيه، والذئاب العشر هم إخوانه، فلما أتى الصباح وسألوه المسألة قال: أخاف أن يأكله الذئب. قال من حسن تلطفه -عليه الصلاة والسلام- ما قال: أخشى عليه منكم، فهو لم يتهمهم؛ لأنه لو قال: أخاف عليه منكم

لظهرت العداوة، قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾، مجرد ذهابكم به هو حزن لي، ثم قال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾، إنما قصد الذئب من دون الحيوانات؛ لأن العرب تسمي السبع ذئبًا، سواء أكان نمرًا أم فهدًا أم أسدًا، تسميه ذئبًا. قال: بعضهم: قصد الذئب دون غيره؛ لأنه مشهور عنه الغدر؛ لأن الذئب صغير الجسم لكنه غدار، يظهر لك ويعود وراءك ويغدرك، هذا من غدر الذئب، يقول الجاحظ في كتابه (الحيوان): إن الذئب إذا نام أغمض عينًا وترك الأخرى مفتوحة ينظر بها.

فالأسد والنمر أكرم نفسًا من الذئب، والذئب أخفى احتيالاً وأشد غدرًا وأخبث غريزة وهذا دليل على أن يوسف -عليه السلام- لا يزال صغيرًا، فلو كان شابًا لقاتل الذئب ودافع عن نفسه.

قال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾، هنا لا يتهم إخوان يوسف، وهو لا يدري -عليه السلام- أنهم هم الذئاب، الآن هم سوف يكونون في موقف الذئب خداعًا -غفر الله لهم- قال: من غفلتكم سوف تلعبون أو تتحدثونَ مَنْ يحفظ هذا الطفل الذي له عناية مخصوصة؟ وهذه تزيد مسألة الحقد في نفوسهم، فمازالت المحاورة في المجلس، لابد أن يعطوا المواثيق، قالوا: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾، نحن عشرة وعصبة وشجاعة، وأخونا يأكله الذئب من بين أيدينا. إذًا نحن خاسرون في أعمالنا، وعاجزون ولا رجولة لنا، كيف تقول هذا سامحك الله؟ فسوغوا له أنه يخرج معهم، وقالوا: اترك هذا الأمر لنا، ولا يجوز

لك أن تتهمنا وتظن أن ذئبًا واحدًا يمكن أن يهزم عشرة من الرجال الأبطال، إنا إذًا لخاسرون مخطئون أو عاجزون، الآن اقتنع -عليه السلام- واطمأنت نفسه وأعطاهم الطفل وخرجوا به صباحًا فذهب معهم، الأب يبكي وودع ابنه بعد أن صَدَّقهم، وأخذ عليهم موثقًا من الله أن يتقوا الله في ابنه، ولا يظن هو أنهم هم سوف يدبرون المكيدة لهذا الغلام، وطلب منهم أن يحسنوا رعاية يوسف -عليه السلام- وسلمهم قلبه، وبقي -عليه السلام- يبكي على فراق يوسف، وينتظر متى يأتي.

قال: فلما ذهبوا بيوسف -عليه السلام- وَدَّعَهُ أبوه، قال أهل العلم: فلما ذهبوا بيوسف، أخذوا يُقَبِّلون يوسف ويقولون يا أخانا.. لا تخف نحن معك نحن أخوانك؛ لأن النبي -عليه السلام- واقف أمامهم، اطمأن على ابنه، فلما غابوا عنه في الجبل أخذوا يبصقون في وجهه، هذا يجره، وهذا يقيده، وهذا يقول له: تحرك امش أسرع هذه ألفاظهم المقصودة المعنى في ألفاظ القرآن، فالقرآن الكريم أتى بألفاظ عربية، والمقصود معاني الحديث الذي يساق به القصة ويوجه به، المهم أنهم أجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، ولما ذهبوا به وأبعدوا والأغنام معهم يريدون تنفيذ مخططهم، فلما أتى المساء أتوا إلى الجب التي أرادوها، وهي جُبٌّ ليست مبنية بأطرافها، بينما هي تراب، فأنزلوه بحبل، أخذ يصيح ويستغيث يا إخوتي اتقوا الله فيَّ وفي وصية أبي، يا أخوتي أرجوكم قالوا له: اتركنا أنت وأبوك الذي تركنا وجفانا بسببك،

أبوك ما عدل بيننا، أنت السبب في تفريقنا، أنت الذي كَرَّه أبانا فينا، دار هذا الحوار والطفل متعلق بالحبل، ما أقسى القلوب إذا طغى عليها الحسد، تجده يطغى على من حسد عليه ويترك حسناته، ويبدعه ويضلله ويفسقه ويحذر الناس منه عدوانًا وظلمًا وبغيًا، فلما وصل إلى القاع وصل إلى صخرة ليست بالماء فقطعوا الحبل، لكن حبل ذي الجلال والاكرام موصول، وفي الليل مع صلاة المغرب وضعوه. فلما وضعوه أوحى اللّه إليه وهو طفل «أنا معك يا يوسف» وهي المعية الخاصة التي قال أهل السنة: إنها معية اللّه بالحفظ والرعاية، فإذا كان اللّه معك فلا تخف ولا تخشَ غيره.

وقد نقل «التنوخي» وغيره في كتب السير مناجاة اللّه ليوسف، فيوسف لما وُضع قال: يا رب أنا الوحيد الليلة، يارب أنا غريب، ياربي أنا مستوحش، يارب أنا منقطع، فأوحى اللّه إليه: الوحيد الذي لم أكن أنا معه، والمستوحش من لم أكن أنا مؤنسه، والفقير من لم أكن أنا مغنيه، والجائع من لم أكن أنا مشبعه، يا يوسف وعزتي وجلالي وكرمي وعظمي ومجدي وبقائي لأنصرنك عليهم ولتنبئنهم بهذا الأمر ولو بعد حين، ولا جعلن العاقبة لك، والنبوة والملك، وليأتنك طائعين ذليلين، فركد قلبه، وسكن خاطره، وهدأت نفسه، ونام تلك الليلة على طرف الصخرة؛ لماذا لأنه اتصل بالحي القيوم وحده.